

والدمار، والتعصب الديني، بل باللسان الحلو، والحسنى والملاينة، والاتفاق والتسامح. وبينما تظل البابوية على إلحاحها ومطالبتها فردريك بضرورة الوفاء بنذره القديم بدأ الامبراطور مبادلة السلطان الكامل رسائل ودية، تمهيداً لتفاهم صليبي إسلامي. ورحب السلطان لذلك، لتفاهم العلاقات بينه وبين بعض أقاربه ملوك البيت الأيوبي بالشام. ثم تزوج فردريك سنة 1225م من وريثة مملكة بيت المقدس الرمزية، والمقصود بالرمزية هنا أن هذه المملكة فقدت عاصمتها ومعظم مدنها لصالح الدين، ولم يبق لها إلا اسمها ورمزها وذكرها. فأضحى لفردريك منفعة مباشرة في إحيائها وإعادتها بعض سيرتها الأولى. ورأى فردريك وقتذاك تهدة لإلحاح البابوية وإلحافها أن يجهز حملة صليبية أبحر هو على رأسها من جنوب إيطاليا سنة 1227م، ولم تك إلا بضعة أيام حتى عاد بسفنه إلى الشواطئ الإيطالية، بسبب مرضه بالحمى. لكن البابوية اعتبرت المرض تمارضاً، وأعلنت سخطها على الإمبراطور، وصبت جام غضبها على رأسه بأن قطعت من رحمة الكنيسة. ثم توفيت زوج فردريك سنة 1228م، وأخذ هو في المطالبة بإرثها - أي عرش مملكة بيت المقدس الرمزية - وأبوها على قيد الحياة.. ويبدو أن المراسلات الفردريكية الكاملة وصلت وقتذاك إلى مرحله الانفاق على معاهدة سلمية رضى الطرفان عنها، ولم يبق إلا أن يذهب فردريك إلى الشرق، لتوقيع هذه المعاهدة وتنفيذ ما يمكن تنفيذه من شروطها؛ فغادر إيطاليا في أسطول صغير، وحملة أصغر عدتها ستمائة فارس. عند ذلك أصدرت البابوية قراراً ثانياً بقطع فردريك من رحمة الكنيسة، ووصفته وحملة أشنع الأوصاف المعهودة في العصور الوسطى، بل دعت إلى حملة صليبية لمحاربه في إمبراطوريته وهو غائب عنها بفلسطين.

وفي فلسطين أرسى الإمبراطور عند مدينة عكا، وهي إحدى البقايا الباقية للصليبيين من مملكة بيت المقدس، واستقبل رسل السلطان الكامل، وهم الأمير فخر الدين بن حمويه وأخوه كمال الدين، والشريف شمس الدين الأرموي قاضي نابلس.